المشرق

انبثاق الروح القدس من الآب والابن

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

في اواسط هذا الشهر تحتفل الكنيسة بعيد تنظمهُ في عداد اجلّ اعيادها السنويَّة نعني بهِ عيد العنصرة المختصّ بتذكار حلول الروح القدس على التلاميذ في عليَّة صهيون. فالبيعة الجامعة على اختلاف طوائفها شرقاً وغرباً لا تذخر وسعها في تعظيمهِ بطقوسها وحفلاتها الشائقة التي تدوم اسبوعاً كاملاً كعيدَي ميلاد الربّ وقيامتهِ. وقد سبقت المجلَّة (المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٥٢٣—٥٣٠) ووصفت تلك الحفلات البيَّة وما يمتاز بهِ هذا العيد في الطوائف المختلفة. واليوم احببنا ان نفرد مقالةً خاصَّة لقضيَّة مهمَّة من قضايا الايمان المتعلّقة بالروح القدس اعني انبثاق هذا الاقنوم الثالث من الآب والابن وهي العقيدة التي ينكرها البعض ولو تروَّوا فيها كما سنبيّنهُ لوجدوها من اصرح العقائد النصرانيَّة وأثبتها برهاناً

تحديد المجمع القسطنطيني في انبثاق الروح القدس من الآب

ان آباء مجمع نيقية وهو المجمع المسكوني الاول الملتئم سنة ٣٢٥ لم يذكروا بخصوص الروح القدس الّا هذه العبارة الوجيزة: «نؤمن بالروح القدس». وذلك لانهُ لم يكن خالجَ عقول المؤمنين في ايامهم شكّ ولا وقع جدال في ما يلاحظ الايمان بالروح القدس. بل كانت تنحصر الحرب والمدافعة في ما يتعلّق باقنوم يسوع المسيح ولاهوته. فكان معلوماً لدى الكاثوليك والمراطقة معاً انه لو تضعضع الايمان باقنوم ابن الله وميلادهِ من جوهر الآب ووحدة جوهرهما وتمييز اقنوميهما لتضعضع

٢١

الايمان كله بالثالوث الاقدس وبشخص الروح القدس . وبالعكس لو ثبتت العقيدة الكاثوليكية بخصوص الآب والابن وتحققت لثبت الايمان باقنوم الروح القدس وتحقق او على الاقل لسهلت المدافعة عن هذه الحقيقة ضدّ المراطقة من المبادئ التي تكون تقرّرت وقُبلت من الطرفين في الجدال عن لاهوت ابن الله . قال القديس باسيليوس (رسالة ١٢٥ عدد ٣) [1] : « انّ سائر الامور (عن ابن الله) حُدّدت تماماً وباعتناء ههنا (اي في مجمع نيقية) لمداواة ما كان اعتلّ وللافاة ما خُشي ان يطرأ . امّا الايمان بالروح القدس فذُكر بايجاز ولم يُرَ من حاجة للبحث في هذه المسألة التي لم تكن بعد عرضت بل كانت هذه العقيدة متأصلة في عقول المؤمنين بدون ريب . لكن مع تفاقم الكفر شيئاً فشيئاً نبت الزرع الفاسد الذي كان بذرهُ اريوس صاحب المراطقة وساعدهُ سعي الاشرار الذين اعتنقوا اضاليلهُ وكان ذلك لضرر الكنيسة فاتصل الكفر الى التجديف على الروح القدس »

ولما استفحل الشرّ عُقد المجمع المسكوني الثاني وهو الملتئم في القسطنطينية سنة ٣٨١ ضد مقدونيوس بطريرك القسطنطينية واصحابه الناكرين ألوهية الروح القدس . فحكم عليهم وقرّر ألوهية الروح القدس واضاف الى عبارة مجمع نيقية ما يلي : « نؤمن بالروح القدس الربّ المحيي المنبثق من الآب الذي مع الآب والابن يُسجد لهُ ويُمجّد الناطق بالانبياء »

فلماذا مع ذكر انبثاق الروح القدس من الآب لم يذكر آباء المجمع انبثاقه من الابن ؟ فهل بسكوتهم هذا ارادوا نفي انبثاق الروح من الابن ؟ لا لعمري فانهم قد افترضوه كحقيقة مقرّرة كان يسلّم بها كلٌّ من الطرفين . لا بل نقول انه لم يكن من الموافق اذ ذاك ان يذكروا انبثاق الروح القدس من الابن وكان يكفي ان يبرهنوا لاهوته من انبثاقه من الآب لان الجدال كان يدور حول مسألة واحدة هل الروح القدس هو إله غير مخلوق ام هو مخلوق وغير إله . فاذا كان منبثقاً من الآب فهو إله بدون شك . ولتبيان حالة الجدال في ذلك العصر نقول :

ان المراطقة الاريوسيين بعد ان حكم عليهم مجمع نيقية وقرّر ألوهية يسوع المسيح خرج منهم حزب اتخذوا طريقة اخرى مستترة ومنحرفة ليقاوموا العقيدة التي

(١) اطلب مجموعة مين (Migne) للآباء اليونان مجلد ٣٢ العمود ٥٥٠

كان قرّرها هذا المجمع وليشروا اضاليلهم. فأطلق عليهم اسم « نصف اريوسيين » . فقام في مقدمتهم مقدونيوس بطريرك القسطنطينية واخذ يعلم ان الروح القدس ليس إلهاً معترفاً بالفم فقط ان الابن مولود من الآب وانه إله من إلـه ومدّعياً ان الروح القدس غير منبثق من الآب بل مخلوق من الابن الذي به كُوّن كلّ شيء. وما ذلك الّا ليتوصّل الى نفي مساواة الابن للآب في الجوهر. وقد فضح القديس اثناسيوس قصد الهراطقة هذا (في رسالته الى يوڤيانوس الملك. عدد ١) [1] قال: « في عزم البعض في ايامنا هذه ان يجدّدوا هرطقة اريوس فتجاسروا وذكروا الايمان الذي اعترف به آباء نيقية متظاهرين انهم يعترفون به وفي الحقيقـة يرذلونه لانهم يفسرون تفسيراً سيئاً اللفظة « أومُوُوسيون » (اي: له وللآب جوهر واحد) ويتفوّهون بكلام تجديف ضدّ الروح القدس قائلين انه مخلوق وان الابن كوّنه »

من المقرّر ان هذا كان تعليم فرقة من الاريوسيين المضادّين للايمان بلاهوت الروح القدس. فكانوا يعلّمون ان الابن والروح القدس مخلوقان. يتّضح ذلك ممـا اورده القديس باسيليوس عن تعليم اونوميوس الهرطوقي (باسيليوس في كتابه ضدّ اونوميوس ك ٢ عدد ٣٣) [2] قال اونوميوس: « اذا كان احد يرتفع من المخلوقات ليدرك الجوهر يجد ان الابن هو خليقة الغير المولود (يريد مخلوق من الآب) وان البارقليط هو خليقة المولود الوحيد (يريد مخلوق من الابن) ». فردّ عليه باسيليوس (في العـدد ٣٤ ص ٦٥١) بقوله: « كلٌ يعلم انّ لا عمل في الابن منفصل عن الآب ولا شيء في الطبيعة يتعلّق بالابن ولا يتعلّق بالآب لانّهُ قال: « كلّ شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي » (يوحنا ١٧: ١٠) فكيف ينسب (اونوميوس) اذاً علّة الروح للابن وحده يدّعي انه خلق الروح » وذلك ولكي يذلل طبيعتهُ

وقال القديس اثناسيوس (في رسالته الاولى الى القديس سرابيون الاسقف. العدد ٢١) [3] في مدافعته عن لاهوت الروح القدس: « فان كان الترتيب ذاته والطبيعة ذاتها في الروح بالنسبة الى الابن كما في الابن بالنسبة الى الآب ألا ينبغي

١) مين. آباء اليونان المجلد ٢٦ العمود ٨١٥
٢) مين. آباء اليونان المجلد ٢٩ العمود ٦٥٠
٣) مين. آباء اليونان المجلد ٢٦ العمود ٥٢٩

للذين يدّعون ان الروح القدس مخلوق ان يقولوا القول ذاته عن الابن . لانه لو كان روح الابن مخلوقاً لالتزموا ضرورةً بالقول ان كلمة الآب ايضاً مخلوق . . . فالذين يتجاسرون ويتفوّهون بهذه الاقوال عن الروح ان كانوا يأبون حقيقةً التمسك برأي اريوس عليهم ان يتجنبوا ايضاً اقواله ولا يجدّفوا على الروح القدس .

فما سبق ترى ايها القارئ اللبيب ان تعليم الهراطقة يحتوي ثلاثة اشياء . الاول ان الروح القدس ليس من الآب ومن ثم انه ليس الهاً . والثاني ان الروح القدس هو من الابن او بعبارة اخرى بواسطة الابن . والثالث انه مخلوق من الابن . فالقول الاول هو المقصود من الهراطقة اي ان الروح القدس ليس إلهاً . والثاني ان الروح القدس هو من الابن او بواسطة الابن فقد اعتبره الجميع كحقيقة مقرّرة في الكتب المقدسة ومسلّم بها . الّا ان الهراطقة فهموهُ بمعنى مخالف للمعنى الذي فهمه الكاثوليك لانهم قالوا ان الروح هو من الابن بمعنى ان الابن خلقهُ لا انه صدر من جوهره . اما الكاثوليك المؤمنون بألوهية الروح القدس فانهم فهموا بصدوره صدوراً جوهرياً من الابن كما من الآب اذ انّ للآب وللابن جوهراً واحداً

هذه كانت نقطة الجدال بين آباء الكنيسة والهراطقة . فآباء الكنيسة افترضوا كعقيدة ثابتة مقبولة منهم ومن خصومهم صدور الروح القدس من الابن بالمعنى العام اي الصدور منه بغضّ النظر موقتاً عن الكيفية . ومن هذا التعليم انتقل الآباء الى ايضاح الايمان الكاثوليكي الصحيح والى دحض ضلال الهراطقة المزدوج وتعليمهم الفاسد القائل بان الروح القدس ليس من الآب وانه مخلوق من الابن

فلما كانت غاية آباء مجمع القسطنطينية اثبات ألوهية الروح القدس رأوا من الموافق السكوت عن صدوره من الابن لانّ الهراطقة لم يكونوا لينكروهُ وان ضلّوا في فهمهِ وتفسيره واكتفى المجمع بتقرير صدور الروح القدس من الآب وهو الامر الذي كان يرفضهُ الهراطقة

فقد وضح اذاً ان سكوت آباء مجمع القسطنطينية في قانون الايمان عن انبثاق الروح القدس من الابن لم يكن نفياً له بل سلوكاً بحكمة لئلا يخالج عقول الكاثوليك الفكر ان هذا الصدور كان كما يدّعي الهراطقة اي ان الابن كوّن الروح القدس وخلقهُ . ومن ثمّ كان يكفي المجمع ان يقرّر ويثبت العقيدة التي كان ينكرها الهراطقة

الذين انما كانوا ينكرون انبثاق الروح القدس من الآب لينفوا ألوهيّتهُ . فاذ قرّر اباء المجمع ان الروح القدس ينبثق من الآب وانه اله نتج ضرورةً بالوقت ذاته ان الابن الذي منه الروح القدس هو اله ايضاً ودحضوا هكذا تعليم نصف الاريوسيين

هات نبحث الآن عن الحقيقة ونبيّن بأدلّة اوضح من نور الشمس ان عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب هي عقيدة مستندة الى الآيات الانجيلية ومطابقة كل المطابقة لمعتقدات الآباء الاطهار من الشرقيين والغربيين معاً . فنستنتج من ثم ان من يرفض عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب يكون تحت مسئوليّة كبرى امام كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية التي لا تحيد البتة عن معتقدات الآباء الاطهار وتحافظ على سلامة وديعة الايمان وصحّتها كما تسلّمتها . واذ ذاك لا يبقى على من كان ذا قلب سليم وضمير مستقيم الّا ان يتبع تعليم الكنيسة الكاثوليكية اذا ما رغب البقاء في كنيسة المسيح الحقيقية والفوز بالخلاص الابدي

المراد بالقول ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن

يلزمنا بادئ بدء ان نحدّد ونبيّن ماذا نفهم بعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فنقول اننا بهذا المعتقد ننسب الى الابن كما ننسب الى الآب الفعل نفسه الذي به يَنبثق الروح القدس . ونفهم انه ينبثق منهما لا كمن مبدأين لكن كمن مبدإ واحد ولا بنَسَمتين لكن بنسمة واحدة

ثم اننا بقولنا ان الروح القدس ينبثق نفهم انه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي ينسمهُ . كما اننا بقولنا عن الابن انه مولود من الآب نعني انه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي يَلدهُ

فباعتقادنا ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن نعلّم انه يأخذ الذات الالهية من الاقنومَين الالهيين الآب والابن اللذين ينسبانه ويتقدّمانه في رتبة المبدأ لا في الزمان

وهذه العقيدة المنَسّرة على هذه الصورة هي مطابقة لتعليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ومعلّميها . هذا ما نريد ايضاحه وتأييدهُ . فنبتهل الى الروح القدس ان ينوّر العقول ويحرّك القلوب لتدرك الحق وتتبعهُ

شهادات الكتاب المقدس

البرهان الاول : من الآية ان الروح يسمع من الابن ويأخذ منهُ

قال السيد المسيح لتلاميذه : «ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده لكن يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي. هو يمجدني لانهُ يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم» (يوحنا١٦ : ١٣—١٥). فبهذه الكلمات الالهية اوضح المسيح ان الروح القدس ينبثق ليس فقط من الآب لكن من الابن ايضاً. واليك البرهان والبيان: قل لي بحياتك ما معنى قول المسيح ان الروح يأخذ مما للمسيح وماذا يمكن الروح ان يأخذ منهُ. أيحتاج الروح يا ترى بعد وجود ذاته الالهية الازلية ان يتعلم من الابن او ان يكتسب من الابن الحكمة والمعرفة؟ حاشا لنا من هذا القول الكفري. لأن كل مسيحي يعلم حق العلم ان الروح القدس إله مساوٍ للآب والابن وان لهُ وللآب وللابن طبيعة واحدة وقدرة واحدة وحكمة واحدة ومعرفة واحدة هي لاهوته وذاته. فنسأل ما معنى قول المسيح اذاً ان الروح القدس يأخذ مما لهُ وان الروح يتكلم لا من عنده لكن بكل ما يسمع. ان السيد المسيح بقوله هذا يُعلمنا صريحاً ان كلام الروح القدس وعلمه وحكمته الذاتية ليست منه بل معطاة له من مصدر آخر إلهي ومن ثم يعلمنا ان الروح القدس يصدر منه ذاتياً اي انه منذ الازل يأخذ منه جوهره وينبثق منه

يؤيد ذلك ما قاله المسيح عن ذاته : «ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني» (يوحنا٧ : ١٦). وقال ايضاً : «إني لستُ افعل شيئاً من عندي ولكن كما علمني الآب كذلك اقول» (يوحنا ٨ : ٢٨) وقال في موضع آخر : «الذي ارسلني هو حق والذي سمعته منه به اتكلم في العالم. فلم يعرفوا أنه يقول إن اباه هو الله» (يوحنا ٨ : ٢٦ و٢٧) وقال ايضاً : «ان الابن لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئاً الّا ما يرى الآب يعمله لانه مهما يعمله ذاك فهذا يعمله الابن ايضاً على مثاله. لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل» (يوحنا ٥ : ١٩ و٢٠). فكما ان المسيح بهذه الاقوال وما يشبهها يدلنا على انه صدر من الآب منذ البدء وانهُ يولد منهُ ولادة ازلية «قبل ان يكون ابرهيم انا كائن» (يوحنا ٨ : ٥٨) «قد خرجت من الآب واتيت الى العالم» (يوحنا١٦ : ٢٨).

كذلك بقوله ان الروح القدس « لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع» وبقوله «يأخذ مما لي ويخبركم» يدلنا دلالة بيّنة على ان الروح القدس يصدر منه ويأخذ منه ما هو له اي جوهره وذاته ولاهوته اي ينبثق منه . وبهذا المعنى قال القديس اوغسطينوس (المقالة ٩٩ في تفسير يوحنا العدد ٥) [1] : «ان سَمْعه هو معرفتُه ومعرفته هي ذاته فيسمع اذًا من ذاك الذي ذاته منه وذاته مِنْ ذاك الذي يَنبثق منه» . وقال ايضاً (في المقالة ذاتها العدد ٤) : « لا يتكلم من عنده لانه ليس هو من ذاته لكن يتكلم بكل ما يسمع ويسمع من ذاك الذي هو صادر منه وسَمْعه هو معرفتُه ومعرفته هي ذاته كما بيّنا سابقاً . فلانه ليس هو من ذاته بل من ذاك الذي يصدر منه فمعرفته اذًا هي من ذاك الذي منه ذاته والسَّمع ليس شيئاً آخر الّا المعرفة» . وقال ايضاً (في المقالة ذاتها عدد ٨) : « ان الذي نال منه الابن ان يكون إلهاً لانه اله من اله نال منه ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس . وهكذا نال الروح القدس من الآب ان ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب»

وقد زادنا المخلّص له المجد برهاناً وايضاحاً بقوله « جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم » . فقوله هذا يعني : كما ان جميع ما للآب هو لي وانا أخذت منه واتيت اليكم لأُعلِمكم كذلك جميع ما هو لي هو للروح وقد اخذ مني الذات وسيأتي اليكم ليرشدكم . وعليه فالروح القدس يأخذ ذاته من الابن كما يأخذها من الآب . فهو اذن ينبثق من كليهما

ان هذا البرهان هو ليوحنا الذهبي الفم (في الميمر ٧٨ وفي بعض النسخ الميمر ٧٧ على يوحنا عدد ٢ في الاخير) [2] : «جميع ما للآب هو لي فحيث هو لي والروح يتكلم مما هو للآب فيتكلم مما هو لي» . وقال القديس كيرلس الاسكندري (في شرحه آية يوحنا ١٦ : ١٤) [3] : « انه خال من الخطأ ومن كل لوم القول بان روح الابن يأخذ منه شيئاً . لانه به ينبثق طبيعيًّا بما انه خاصته »

البرهان الثاني : من الآية ان ما هو للآب هو للابن

من هذه الآية «جميع ما للآب فهو لي» (يوحنا ١٦ : ١٥) والآية الاخرى « كل

---

١) مين . الآباء اللاتين المجلد ٣٥ ص ١٨٨٨ ٢) مين الآباء اليونان المجلد ٥٩ ص ٤٣٣

٣) مين . آباء اليونان المجلد ٧٤ ص ٦٥٠

شيءٌ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لك هو لي» (يوحنا ١٧ : ١٠) يمكننا ان نستخرج برهاناً ثانياً ليس اقل قوةً من الاوّل لتأييد انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الآب فنقول: ان الابن لا يتميّز عن الآب الّا بشيءٍ واحد كون الابوّة في الآب والبنوّة في الابن. فالنسبة الاضافية التي بين الآب والابن تجعل الواحد اباً والآخر ابناً وفيما سوى ذلك لا تمييز البتة بينهما بل هما ذات واحدة «انا والآب واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) «آمنوا اني انا في الآب وان الآب فيّ» (يوحنا ١٤ : ١١). قال القديس يوحنا الدمشقي (في كتابه على مشيئتَي المسيح العدد ١١)[1]: «كل ما هو للآب فهو للابن ما عدا انه غير مولود». وقال القديس كيرلس الاسكندري (في كتابه ضد الافتروبو ورفيت الفصل ٦)[2]: «كل ما فيهِ انه الآب فهو هو الابن ما خلا شيئاً واحداً انهُ آب». ومن ثم فحيث كل شيءٍ مشاع ما بين الآب والابن ما عدا الابوّة في الآب والبنوّة في الابن فينتج هذا ضرورةً: كما ان الآب يَبثق الروح ذاتيًّا كذلك الابن يبثق الروح ذاتيًّا. والّا لما صدقت الآية «جميع ما للآب فهو لي» والآية «كل شيءٍ لي هو لك وكل شيءٍ لك هو لي». وعليه فمن قال ان الروح القدس ينبثق من الآب فقط يجعل ما بين الآب والابن تمييزاً آخر غير الابوّة والبنوّة اذ انه يختص بالآب انبثاق الروح وينفيه عن الابن مُبطلاً قول المسيح «جميع ما للآب فهو لي» و «كل شيءٍ لي هو لك وكل شيءٍ لك هو لي». وحيث هو محالٌ ان تبطل اقوال المسيح يلزمنا ان نعتقد بان الابن يبثق الروح القدس كما يبثقهُ الآب وكلاهما يبثقانه بنسمة واحدة

وقد شرح هذا البرهان القديس اوغسطينوس بكلام صريح يُزيل كل ريب وبحجّة تقنع كل مكابر. وفحوى كلامه هو ان الآب اذ منح منذ الازل جوهره للابن منحه ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس ازليًّا لان جوهر الآب والابن هو واحد

قال (في كتابه عن الثالوث ك ١٥ العدد ٤٧)[3]: «كلُّ من يمكنه فهم ميلاد الابن من الآب ازليًّا فليفهم ايضاً انبثاق الروح القدس ازليًّا من كليهما. وكل من يستطيع ان يفهم قول الابن كما ان الآب له الحياة في ذاته كذلك اعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته (يوحنا ٥ : ٢٦) بالمعنى ان الآب الحيّ منح الحياة للابن وان

١) مين آباء اليونان المجلد ٩٥ ص ١٤٢ ٢) مين آباء اليونان المجلد ٢٦ ص ١٠٩٠
٣) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ١٠٩٦ — ١٠٩٥

الحياة التي منحها الآب للابن اذ ولده ازليًا هي حياة ازلية كما هي حياة الآب المانح فليفهم ايضاً انه كما ان الآب له في ذاته ان ينبثق منه الروح القدس كذلك اعطي الابن ان ينبثق منه ايضاً الروح القدس. وانبثاقه من كليهما ازليّ . واذ نقول ان الروح القدس ينبثق من الآب نفهم ان الآب أعطى للابن ان ينبثق منه الروح لانه ان كان كل ما هو للابن هو لهُ من الآب فمن الآب اخذ ان ينبثق منه الروح القدس . لكن لا يخالجنّ فكرنا ان هناك زماناً فيه قبلُ وبعدُ لانّ لا زمان هناك البتة . . . كما ان الميلاد من الآب يعطي الابن جوهره بدون بداية زمان وبدون تغيير في الطبيعة كذلك الانبثاق من الاثنين يعطي الجوهر للروح القدس بدون بداية زمان وبدون تغيير في الطبيعة . . . الآب وحده لا مَصدر له امّا الابن فانه مولود من الآب . واما الروح القدس فانه مبدئيًا من الآب المانح لهُ معاً بدون مهلة زمان ان ينبثق من الاثنين. فاذًا الروح ليس مولودًا من كليهما بل هو روح كليهما منبثق من كليهما » . انتهى كلام القديس اوغسطينوس

البرهان الثالث : من ارسال الابن للروح القدس

كلٌّ يعلم ان في الاناجيل آياتٍ صريحة يُعلَن فيها ان اقنوماً يُرسِل اقنوماً آخر . فقد كتب «لم يُرسِل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم» (يوحنا ٣ : ١٧) وايضاً «كما ارسلني الآب الحيّ» (يوحنا ٦ : ٥٨) . وهذه الآية ايضاً «تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني» (يوحنا ٧ : ١٦) وايضاً الآية «الذي ارسلني هو حقّ والذي سمعته منه به اتكلّم في العالم» (يوحنا ٨ : ٢٦) هذه الآيات هي عن ارسال الآب للابن . امّا عن ارسال الآب للروح القدس وارسال الابن ايضاً للروح القدس فوردت الآيات الآتية : «امّا المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي» (يوحنا ١٤ : ٢٦) و «متى جاء المعزّي الذي أرسله اليكم من عند الآب» (يوحنا ١٥ : ٢٦) وايضاً : «اذا مضيت ارسلته اليكم» (يوحنا ١٦ : ٧)

فما معنى هذا الارسال ؟ أتكون سلطة في الثالوث لاقنوم على آخر أو يكون الاقنوم المرسَل خاضعاً او خادماً للاقنوم الذي يُرسله او هل يقبل منه امرًا ؟ انه لمعلومٌ عند الجميع ان الاقانيم الثلاثة هم متساوون في السلطة والعظمة والكرامة ولا سلطة لاقنوم على آخر ولا تمييز في الثالوث الّا تمييز الاقانيم بعضهم عن بعض مع

وحدة الجوهر والذات والطبيعة . وهذا التمييز كما سبق القول قائم بالنسبة الاضافية بين الاقانيم فتجعل ان يكون في الطبيعة الواحدة آب وابن وروح قدس

فنسأل اذًا ما معنى هذا الارسال ؟ لا شكّ انه يدلّ على امر مهمّ في اللاهوت لاننا لم نقرأ قط في الانجيل الشريف ان الآب أُرسل من الابن او انه أُرسل من الروح القدس ولم نجد في الكتب المقدسة ان الابن أُرسل من الروح القدس[1] بل نعلم حقّ العلم ان الآب ارسل الابن وان الآب والابن ارسلا الروح القدس . قال القديس اوغسطينوس (في كتابه ضد خطاب الاريوسيين ف٤)[2] : « ان الآب وحده لم نقرأ عنه انه أُرسل لانه وحده ليس له مبدأ يولد منه او ينبثق منهُ . وليس ذلك لسبب اختلاف ما في طبيعة الثالوث اذ لا اختلاف فيها لكن لسبب ان الآب وحده هو المبدأ فلا يقال عنه انه أُرسل . كما انه ليس النور ولا الحرارة يُصدران النار بل النار هي التي تُصدر النور والحرارة » . فمن كلام القديس اوغسطينوس نفهم ما هو هذا الارسال . انه صدور اقنوم من آخر . لان الآيات التي اوردناها آنفاً من الانجيل تتكلم عن مفاعيل مختصّة بالاقنوم كقوله «فهو يرشدكم الى جميع الحقّ لانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » (يوحنا ١٦ : ١٣) وقوله «ومتى جاء يبكّت العالم على الخطيئة » (يوحنا ١٦ : ٨) . وهذا الارسال الاقنومي هو فعل في الخارج لكنّه لا يُقال عن فعل في الخارج الّا لانّه يدلّ على فعل في باطن اللاهوت فيعني صدور اقنوم من اقنوم اي صدور الاقنوم المُرسَل من الاقنوم الذي يُرسله . فينتج اذًا ضرورة من

---

١) وبّ معترض يقول : وردت في انجيل لوقا (٤ : ١٨) هذه الآية « ان روح الربّ عليّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لأُبشر المساكين . . . » فينتج اذًا ان روح الربّ ارسل الابن . فعلى هذا نجيب ان السيد المسيح في هذه الآية يتلو آية اشعيا النبي القائل «ان روح السيد الربّ عليّ لانّ الربّ مسحني لابشر المساكين » . وكلٌّ يفهم ان هذه الآية لا تذكر ارسال الروح للابن بل انّ اللاهوت مسح الطبيعة الانسانية التي في يسوع بدهن النعمة باتحادها مع اقنوم ابن الله ولهذا سمي المسيح لانه ممسوح من نعمة الروح القدس في ناسوته . يتّضح ذلك مما سبق الآية في الانجيل : « واتى يسوع الى الناصرة حيث نشأ ودخل كعادته الى المجمع يوم السبت وقام ليقرأ فدُفع اليه سفر اشعيا النبي . فلما فتح السفر وجد الموضع الموجود فيه ان روح الربّ عليّ ولذلك مسحني وارسلني لابشر المساكين واشفي منكسري القلوب » (لوقا ٤ : ١٦-١٨) . فالمعنى اذًا هو ان المسيح بالنعمة الطبيعة الانسانية التي في يسوع كما فسّرنا وارسلهُ لخلاص العالم ٢) اطلب مجموعة بين الآباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ٦٨٦

قول الانجيل ان الآب أرسل الابن ان الآب مصدر الابن ومبدأ له وانه يُفيض عليه طبيعته الالهية . ومن قول الكتاب ان الآب يُرسل الروح القدس يقتضي هذا القول ان الآب يُصدر الروح القدس ويُفيض عليه طبيعته الالهيـة . ومن ثمَّ فاذ يقول الكتاب المقدس ان الابن يُرسل الروح القدس يعلمنا بلا ريب ان الابن يُصدر الروح القدس ويُفيض عليه طبيعتهُ الالهية التي يُفيضها عليه الآب . فالانجيل الطاهر حيث يصرّح بانّ الروح القدس يُرسَل تارةً من الآب وتارةً من الابن يعلمنا جليًّا ان الآب والابن يصدران الروح ويفيضان عليه طبيعتهما الالهية وبعبارةٍ اخرى انهما مبدأ واحد ينبثق الروح القدس وينسبانهِ بنسبة واحدة . فاذًا الروح القدس هو منبثق من الآب والابن

البرهان الرابع : من نسبة الروح القدس للآب وللابن

تكرَّرت في الاسفار المقدَّسة الآيات : «روح الله» (متى ٣ : ١٦ورومية ٨ : ٩و١١ و١٤و١كورنتس الاولى ٢ : ١٠و١١) . «روح الرب» (الوقا ٤ : ١٨واعمال ٥ : ٩و٨ : ٣٩و٢ كورنتس ٣ : ١٧) . «روح الآب» ولا ريب في انّ معناها الروح المنبثق من الله الآب . والدليل على ذلك ان الآية «روح الله» يفسّرها الكتاب المقدَّس بالآية «الروح الذي من الله» (١ كورنتس ٢ : ١١ و١٢) فهكذا اذا نُسب الروح الى الابن وقيل «روح الابن» (غلاطية ٤ : ٦) . «روح المسيح» (رومية ٨ : ٩و١ بطرس ١ : ١١) . «روح يسوع المسيح» (فيلبي ١ : ١٩) . «روح يسوع» (اعمال ١٦ : ٧) كان المُراد «الروح الذي من الابن . الذي من يسوع المسيح . الذي من يسوع» كما ان الآية «روح الله» يعبَّر عنها بالآية «الروح الذي من الله» (١ كورنتس ٢ : ١١و١٢) . ومعلومٌ ان الروح الذي من الابن او من يسوع المسيح او من يسوع هو الروح الصادر والمنبثق منه كما ان الروح الذي من الآب هو الروح المنبثق من الآب

هكذا علَّم آباء الكنيسة الذين اعتبروا كحقيقة ثابتة انهُ لا يُنسب الروح القدس الى اقنوم الآلآنه يصدر منه . قال القديس اثناسيوس (في كتابهِ عن الثالوث والروح القدس العدد ١٩) [1] : «ارسل الله روح ابنه الى قلوبنا . فاذ نشاهد الابن الوحيد ينفخ

١) عين آباء اليونان المجلد ٢٦ ص ١٢١٢

في وجوه الرسل قائلاً لهم خذوا الروح القدس يلزم ان نفهم ان نسمة الابن الباقية في حياته وفي جوهره هي الروح ولنعلم انه غير مولود ولا مخلوق من الابن... انه ليس مولود منه لانه ليس كلمته.. وحاشا لنا ان نقول عن الروح انه مخلوق. وقد علمنا من الكتب المقدسة انه نسمة ابن الله فنقول اذاً ان الابن ايضاً هو مصدر الروح»

وقال ايضاً (في رسالته الثالثة الى سيرابون العدد ١)[1]: «ان الذي قيل له روح الآب هو روح الابن لان الابن قال روح الحق الذي من الآب ينبثق (يوحنا ١٥ : ٢٦) • فقوله روح الحق يريد به روح الابن المنبثق منه

وقال القديس باسيليوس (ضد أونوميوس ك ٥)[2]: «يعلمنا الرسول ان الروح القدس يظهر بالابن اذ يسميه روح الابن كما سماه روح الله ودعاه روح المسيح كما دعاه روح الله (١ كورنتس ١١ : ١١) •. وقال القديس كيرلس الاسكندري (في تفسيره يوحنا ك ٥ ف ٢)[3]: «كما ان روح الابن هو خاص به لا يُعطى لـه من الخارج كما يُعطى لنا بل هو قائم فيه بالطبيعة ومنه منبثق كذلك هو روح الآب»

ويعتبر القديس اوغسطينوس الآية «روح الابن» (غلاطية ٤ : ٦) مرادفة للعبارة «منبثق من الابن» قال (في الكتاب الرابع في الثالوث العدد ٢٩)[4]: «لا يجوز القول ان الروح القدس لا ينبثق من الابن. اذ انه لم يُقَلْ عبثاً انه روح الآب والابن...»

وقال ايضاً اوغسطينوس (في الثالوث ك ١٥ الفصل ٢٦ العدد ٤٥)[5]: «قال الرسول عن الروح القدس: بما انكم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم (غلاطية ٤ : ٦) وقال عنه ابن الله: لستم انتم المتكلمين لكنّ روح ابيكم هو المتكلم فيكم (متى ١٠ : ٢٠) ومن شهادات اخرى عديدة هي في الكتاب المقدس يُستدل انه روح الآب والابن. وقال عنه ايضاً الابن: الذي أُرسله لكم من عند الآب (يوحنا ١٥ : ٢٦) وفي موضع آخر: الذي سيرسله الآب باسمي (يوحنا ١٤ : ٢٦) • اما كونه ينبثق من الاثنين فيعلمنا ذلك الابن حيث يقول: الذي من الآب ينبثق

---

١) مين آباء اليونان المجلد ٢٦ ص ٦٢٦

٢) مين آباء اليونان المجلد ٢٩ ص ٧٣٤ ٣) مين آباء اليونان المجلد ٧٣ ص ٧٥٤

٤) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ٩٠٨ ٥) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ف ١٠٩٢ و ١٠٩٣

(يوحنا١٥ : ٢٦). وبعد ما قام من الاموات وتراءى لتلاميذه نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس (يوحنا ٢٠ : ٢٢) ليعلمنا انه ينبثق منه ايضاً». وقال ايضاً اوغسطينوس (في الثالوث ك٥ الفصل ١١ العدد١٢) [1]: «ان الروح القدس اذا لحظنا ان هذا الاسم خاصٌ به هو في الثالوث ويُنسب الى الآب والابن لان الروح القدس هو روح الآب والابن»

فترى ايها القارئ الاديب من اقوال الآباء التي اوردناها انهم بالآية «روح الابن» فهموا الروح المنبثق من الابن

البرهان الخامس: من الرتبة الموجودة بين الاقانيم الالهية

يوجد في الثالوث الاقدس رتبة حقيقية مُقرَّرة وثابتة. فكلما ذُكرت الاقانيم الثلاثة الالهية تُذكر بمقتضى النسبة الباطنة التي بينهم. قال السيد المسيح: «عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» متى٢٨ : ١٩) وقال يوحنا (١ يوحنا ٥ : ٧) : «الآب والكلمة والروح». فاذا ذُكر بالعكس الاقنوم الثالث اولاً يُحفظ مع ذلك الترتيب النسبي ذاته : الروح . الربّ . الله . قال الرسول (١ كور ١٢ : ٤-٦) : «ان للمواهب انواعاً لكن الروح واحد. وللخدم انواعاً لكن الربّ واحد . وللاعمال انواعاً لكن الله واحد الذي يعمل الكلّ في الكلّ» . وقد لاحظ القديس باسيليوس في شرحه هذه الآية (في الروح القدس ف ١٦ العدد ٣٧)[2]: ان الرسول لا يورد هنا الترتيب الذاتي لكنه يراعي عوائد البشر فقال: «لكن من كون الرسول ذكر اولاً الروح وثانياً الابن وثالثاً الله الآب لا ينبغي ان نفتكر ان الترتيب تلاشى لان الرسول تكلّم هنا بحسب عوائدنا لاننا اذا نلنا المواهب ننظر اولاً الى من يوزّعها ثم نفتكر بمن ارسلها ونصعد بالفكر الى ينبوع الخيرات وسببها» (اي نصعد بالفكر الى الاقنوم الاول الآب الذي ليس هو من اقنوم آخر بل منه الاقنومان الآخران). وقال ايضاً (في الكتاب ذاته ف١٨ العدد ٤٧ الصفحة ١٥٤) : «الطريقة لمعرفة الله هي من الروح الواحد بواسطة الابن الواحد الى الآب الواحد . وبالعكس الصلاح الجوهري والقداسة حسب الطبيعة والشرف الملوكي يصدر من الآب بالابن الى الروح القدس وبهذه الطريقة نعترف بالاقانيم دون ان نهدم الاعتقاد القويم بالوحدة»

١) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ٩١٩ ٢) مين آباء اليونان المجلد ٣٢ ص ١٣٦

وهذا الترتيب الذاتي الباطني في الثالوث لا ريب فيه كما يتضح من كل صور الاذعان المقرَّرة في المجامع ومن الليتورجيات . وليس مفادهُ انه يوجد في الثالوث من يكون الاول ومن يكون الثاني ومن يكون الثالث لان بهذا المعنى لا تكون بين الاقانيم النسبة الاصلية فينفي الترتيب الصحيح والتمييز الحقيقي بينهم في وحدة الجوهر فالترتيب اذاً لا يعني ان بينهم سابقاً ومتأخراً لان الله لا زمن فيه ولا قبل ولا بعد بل يراد بالترتيب الباطني في الثالوث ان الاقنوم الاول هو الآب والثاني الابن والثالث الروح . فلا يُراد ترتيب تقديم وتأخير بل ترتيب صدور الواحد من الآخر . هذا هو الترتيب الوحيد الموجود في اللاهوت . فينتج من ثم انه يوجد ارتباط بين الاقانيم وان الآب هو المصدر ومنه يولد الابن ومن الآب والابن يصدر او ينبثق الروح القدس لان الآب اعطى للابن مع جوهره كل كمالاته الجوهرية ما عدا الابوة وحدها التي بها يتميَّز عن الابن . فاعطاه اذاً ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس . ومن ثمّ الابن هو مع الآب مصدر الروح القدس ومصدر واحد كما ان الآب والابن هما جوهر واحد وإله واحد

ومن هذا الترتيب الباطني والواجب الموجود في الاقانيم الثلاثة مع الوحدة في الطبيعة وجميع الصفات الجوهرية ينتج ضرورةً ان الاقنوم الثالث ينبثق من الابن كما من الآب لان ترتيب التسلسل الحقيقيّ في الله يعني امرين هما : تمييز الاقانيم لما بينهم من النسبة في الاصل . ثم تسلسل اللاحق من السابق بالمعنى الذي يمكن ان يقال في الله سابقٌ ولاحق اي مصدر ومصدر

لانه لو لم يكن بين الاقانيم تمييز حقيقي لما امكننا ان نتصوَّر في الله ترتيباً حقيقياً لان الترتيب يقتضي وجود ارتباط بين كثيرين مميَّزين عن بعضهم مع وجود وحدةٍ ما بينهم . وقد سبق القول انه لا يوجد في الله تمييز حقيقي الّا بمقتضى النسبة التي بينهم نظراً للاصل والتسلسل

فالترتيب اذاً في الاقانيم الالهية هو ترتيب صدور ولكي يُفهم ذلك جيّداً نقول انه ليس سديداً القول : اقنوم اول واقنوم ثانٍ واقنوم ثالث لانّ في هذا القول لا توجد نسبة اقنوم الى آخر يكون اصلهُ ومصدره فيبطل التمييز الحقيقي ويبطل معهُ الترتيب ايضاً في الاقانيم . وانما القول السديد هو : الاقنوم الاول الآب الاقنوم

الثاني الابن الاقنوم الثالث الروح القدس. قال القديس باسيليوس (في رسالته ١٢٥ وفي بعض النسخ ١٧٨ العدد ٣) :[1] «بسبب الذين يخلطون كل شيء ولا يحفظون تعليم الانجيل يجب ان نُعلن انه يلزم اجتناب اولئك الذين يبدلون ترتيب الاقانيم المسلَّم لنا من الرب ويخالفون علينا الحقيقة فيضعون الابن قبل الآب والروح القدس قبل الابن. فمن الضروري ان نحفظ ثابتاً وبدون تغيير الترتيب الذي تسلّمناه من فم الرب القائل : «اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس» فينتج من ثمَّ ان صدور الابن الذي يسمّى قبل الروح يتقدّم نوعاً ما صدور الروح. لكن لا تقدُّم في اللاهوت الّا تقدُّم الاصل. وعليه فبمجرَّد كون الروح القدس في الكتب المقدسة يسمّى ثالثاً في الرتبة ينتج ان الاقنومين الآب والابن يتقدمانه تقدم الاصل ولا تقدُّم غيرهُ في اللاهوت. وبتعبير آخر ان الآب والابن هما مصدر الروح القدس فاذاً الروح القدس ينبثق من الآب والابن

العبارتان : منبثق من الآب والابن . منبثق من الآب بالابن

انّ آباء الكنيسة اذ يتكلمون عن انبثاق الروح القدس يستعملون عبارتين. فالآباء اللاتين يستعملون عادةً هذه العبارة : منبثق من الآب والابن . أمّا الآباء اليونان فانهم يستعملون عادةً العبارة : منبثق من الآب بالابن.

فغاية الآباء اليونان في قولهم ينبثق من الآب بالابن كانت أن يفيدونا رأساً تمييز الاقنومين وصدور الابن من الآب ثم وحدة المبدإ. لانه كما ان الجوهر هو واحد كذلك قوة البثق هي واحدة في الاقنومين. لكن الاب هو مبدأ غير صادر عن مبدإ آخر امّا الابن فليس هو كالآب مبدأ غير صادر عن مبدإ لكنه هو مع الآب مبدأ واحد كما انه مع الآب اله واحد وله وللآب جوهر واحد ومن ثم قوة بثق واحدة لانه نال بميلاده من الآب ما هو للآب ما عدا الابوّة. اذ ان الآب والابن لا يتميزان في اللاهوت ولا في قوة البثق ولا في الصفات الجوهرية ولا تمييز آخر بينهما سوى نسبة الابوة والبنوة. وبتعبير آخر: كل ما هو للآب وغير مُعطًى له من احد هو للابن لكن معطى للابن من الآب. ومن ثم الآب هو الينبوع الاصلي للبثق اما الابن فيأخذ من الاب جوهرهُ وقوة البثق هو مع الآب مبدأ واحد للبثق. وهذا المعتقد

(١) بين آباء اليونان المجلد ٣٢ ص ٥٥٠

ليس الّا المعتقد بميلاد الابن من الآب مع وحدة الجوهر فالابن هو من جوهر الآب وله الجوهر ذاته ومن ثم الاقنوم الاول والثاني هما إله واحد وباثق واحد لكن كما ان الاقنوم الاول هو ينبوع اللاهوت كذلك هو ينبوع البثق

فما سبق يتضح للقارئ ان بين هاتين العبارتين « ينبثق من الآب والابن » و«ينبثق من الآب بالابن » لا يوجد فرق في المعنى لكن في نوع التعبير فقط . فمعنى كليهما انبثاق الروح القدس من الآب والابن كمن مبدإٍ واحد . لكن في العبارة «ينبثق من الاب والابن » المراد رأساً هو ايضاح حقيقة وحدة المبدأ . اما الترتيب الاصلي بين الابن والآب وكون قوة البثق هي للابن من الآب . فذلك لا يُذكر صريحاً بل يُفهم ويستخلص من اسمي الآب والابن

اما في العبارة «ينبثق من الآب بالابن» التي يؤثرها الآباء اليونان فالمقصود منها رأساً هو الترتيب الاصلي بين الآب والابن الباثقين للروح اي ان الآب هو الينبوع الاصلي الذي منه اخذ الابن الجوهر وقوة البثق . فوحدة المبدأ لا تُذكر صريحاً في العبارة «من الآب بالابن » لكنها توجد ضمن معنى الفاعل اي الله الآب والله الابن

وعليه فالآباء اللاتين في العبارة المستعملة منهم «ينبثق من الآب والابن» يقررون رأساً ضدّ الاريوسيين وحدة الجوهر والبثق وضمناً تميز الاقانيم ضد السابليين الناكرين هذا التميز . بينما الآباء اليونان بالعبارة التي كثيراً ما يستعملونها « ينبثق من الآب بالابن» يوضحون صريحاً ضدّ شيعة سابليوس تميز الاقنومين الباثقين والترتيب بينهما وضمناً وحدة المبدأ ضد الاريوسيين [1]

ومن المقرّر ان الآباء اللاتين استعملوا ايضاً عبارة اليونان كما انّ الآباء اليونان استعملوا عبارة اللاتين لما بين العبارتين من الاتفاق في المعنى . كما يتضح من بعض اقوالهم : قال القديس ابيفانيوس (في الرسالة العدد ٦٢) [2] «ان المسيح من الله ونؤمن انه إله من إله . وروح الله من المسيح اذ انه ينبثق من الاثنين كما يشهد المسيح بقوله «الذي من الآب ينبثق» (يوحنا ١٥ : ٢٦) وايضاً «يأخذ مما لي» (يوحنا ١٦ : ١٤ و١٥)»

---

١) ان اريوس ينكر الوهية ابن الله . وينكر مقدونيوس ألوهية الروح القدس . اما سابليوس فينكر تميز الاقانيم وقال انها كيفيات عرضيّة في الله . فيخلقه العالم ظهر لنا كأب وبفداء البشر ظهر كابن وبتقديس النفوس ظهر كروح قدس . هكذا زعم سابليوس

٢) بين الآباء اليونان المجلد ٤٣ ص ١٣٨

وقال ايضاً (في المرسالة العدد ٧٠)[1] : « الله كله حكمة فالابن اذاً المكنون فيه جميعُ كنوز الحكمة (كولسي ٢ : ٣) هو حكمة من حكمة . والله كلُّه حياة فالابن اذاً القائل « انا الحق والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦) هو حياة من حياة . والروح القدس يصدر من الاثنين فهو روح من روح لانّ « الله روح » (يوحنا ٤ : ٢٤) . فبقوله « يصدر من الاثنين » صرّح القديس اپيفانيوس انهُ ينبثق من الآب والابن كما يقول الآباء اللاتين . وبقوله « روح من روح » اوضح ان الآب والابن هما مصدر واحد للروح القدس

وقال ايضاً (في المرسالة العدد ٧١) [2] : « من انت ايها الانسان لتجاوب الله (رومية ٩ : ٢٠) الذي يسمّي ابناً ذاك الذي يولد منه وروحاً قدساً ذاك الذي ينبثق من الاثنين . فهذه الثلاثة الاقانيم التي يعرفها بالايمان وحده رجالٌ قديسون هي نور ومصدر النور المُنير ولها فاعليّة النور . . . اسمع اذاً يا هذا كيف ان الآب هو اب الابن الحقيقي وكله نور وكيف ان الابن هو ابن الآب الحقيقي نور من نور لا كسائر الاشياء المصنوعة او المخلوقة وبالاسم فقط . وكيف ان الروح القدس هو روح الحقّ ونور ثالث من الآب والابن »

وقال ايضاً (في المرسالة العدد ٧٣) [3] : « لا احد يعرف الابن والآب الّا الروح القدس الذي يمجّد حقًّا ويعلّم كل شيء (يوحنا ١٤ : ٢٦) والذي يشهد للابن (يوحنا ١٥ : ٢٦) والذي ينبثق من الآب والابن »

وقال القديس كيرلس الاسكندري (كتاب الكنز ف ٣٤) [4] عن الروح القدس انهُ « ينبثق من الآب والابن » . وقال (ص ٥٨٧) : « الروح القدس هو من جوهر الابن » . وقال (ص ٥٩٠) : « ان المخلص في الانجيل قال عن ذاته انا الحق (يوحنا ١٤ : ٦) والمنبوط يوحنا يبيّن ان الروح هو من جوهر الآب والابن فقال في انجيله (١٥ : ٢٦) روح الحق الذي من الآب ينبثق . وقال (ص ٥٩٤) : « يأخذ مما لي ويخبركم . لا يتكلّم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » (يوحنا ١٦ : ١٤ و ١٣) لانه بعد ان أنجز عمله على الارض وكان على وشك الصعود الى ابيه وعد تلاميذه بان يُرسل لهم المعزي .

---

١) ص ١٤٧ ٢) ص ١٤٧ ٣) ص ١٥٤

٤) مبن الآباء اليونان المجلد ٧٥ ص ٥٨٦

فلئلا يظنوا ان تعليم الروح القدس سيكون مخالفاً لتعليمه أعلن جلياً انه كما الروح هو منه كذلك الكلام الذي يتكلم به يكون منه فقال لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع »

فهذه الاقوال تبيّن جلياً ان الآباء اليونان استعملوا العبارتين «منبثق من الآب بالابن» و«منبثق من الآب والابن» بالمعنى ذاته كالآباء اللاتين

ان المكان يضيق بنا اذا ذكرنا نصوصاً وافرة وافية للآباء اليونان غير التي اوردناها استعملوا فيها هذه العبارة « منبثق من الآب والابن » او « منبثق من الاثنين » او « منبثق من كليهما » . وفي ما اثبتناه كفاية للعقول السليمة

المجامع الخصوصية والعمومية

لما كانت حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب مسلّماً بها ومنتشرة عند الجميع وكان يعلّمها آباء الكنيسة الشرقية كالغربية بدون تردّد ويؤيّدونها بالبراهين المأخوذة من الكتب المقدسة ضدّ الهراطقة ناكري ألوهية الروح القدس فلا عجب ان تكون المجامع الخصوصية والعمومية قرّرتها قبل ان تنشأ في القرن التاسع الاعتراضات والمجادلات عن انبثاق الروح القدس من الابن واعترفت بها في صور قانون الايمان تحذيراً للمؤمنين من الاضاليل التي ابتدأ البعض يبذرونها

ففي المجمع الثاني الملتئم في طُليطلة من اعمال اسبانية سنة ٤٩٧ وكان اجتمع فيه كل اساقفة اسبانية نراهم يعترفون بان الروح القدس منبثق من الآب والابن[1] . وفي مجمع طُليطلة الثالث المنعقد سنة ٥٨٩ قرّر الآباء وضع اللفظة « من الابن » في صورة قانون الايمان المثبتة في مجمع القسطنطينيّة الذي تكلمنا عنه في بدء هذه المقالة[2] . وهذا نصّ الحرم الذي رشق به آباء مجمع طليطلة كلّ من ينكر انبثاق الروح القدس من الآب والابن : « كلّ من لا يؤمن بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن وانّهُ ازليّ مثلهما وانه مساوٍ للآب والابن فليكن محروماً »

ثم انه في المجمع الذي التأم سنة ٦٨٠ في هيتفيلد[3] من اعمال انكلترة وكان

١) مجموعة هردوين للمجامع (الجزء ١ ص ٩٩٣) ومجموعة كارلس هيفلي للمجامع الطبعة الفرنسية (المجلد ٣ الجزء الاول ص ٦٨٣ والحاشية ٢) ٢) مجموعة هردوين للمجامع (الجزء ٣ ص ٦٦٩) ومجموعة هيفلي للمجامع (المجلد ٣ الجزء ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٦)

٣) مجموعة مانسي للمجامع (المجلد ١١ ص ١٢٦ و ١٧٧)

اجتمع فيه كل اساقفة تلك البلاد تحت رئاسة اسقف قنطورية ثيودورس اليوناني الاصل قرّر آباء المجمع صورة الايمان كما يلي : « نقبل المجامع المقدسة العمومية الخمسة التي اجتمع فيها الأبرار المقبولون لدى الله (هنا يذكرون هذه المجامع) [1] ... وكذلك المجمع المنعقد في مدينة رومية في عهد المغبوط البابا مرتينوس ... نقبلها ونمجد سيدنا يسوع المسيح كما هم مجدوه بدون ان نحذف او نضيف شيئاً ... ونمجد الله الآب الازلي وابنهُ الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور والروح القدس المنبثق من الآب والابن بنوع يفوق الوصف كما علّم هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً الرسل الاطهار والانبياء والعلماء . فنحن جميعنا مع الاسقف ثيودورس نُمضي الايمان الكاثوليكي الذي اوضحناه »

وكذلك قرّر آباء المجمع الملتئم سنة ٧٩٦ في مدينة فرنجوس من اعمال فرنسة بسعي القديس بولين اسقف اكيله . فهاك بعض اقوال هذا القديس : « ان الآباء القديسين الراسخين في ثبات هذا الايمان (يتكلم عن الجوهر الواحد للآب والابن) اعترفوا بموجب المعتقد الكاثوليكي ان الروح القدس ينبثق من الآب . ونعترف نحن ايضاً بافتخار أنهُ ينبثق من الآب والابن »

ولا نرى من حاجة الى ذكر المجمعين العامّين اعني المجمع المسكوني الرابع عشر وهو مجمع ليون الثاني المنعقد سنة ١٢٧٤ في مدينة ليون من اعمال فرنسة على عهد البابا غريغوريوس العاشر وملك القسطنطينيّة ميشال باليولوغ . ثم المجمع المسكوني السادس عشر الملتئم سنة ١٤٣٩ في فلورنسة من اعمال ايطالية على عهد البابا اوجينيوس الرابع وملك القسطنطينيّة يوحنا باليولوغ . وقد حضر هذين المجمعين الاساقفة اليونانيون . وكلهم اقتنعوا واذعنوا للحق (ما عدا مرقس اوجينيكوس اسقف افسس الذي حضر مجمع فلورنسة) وأقرّوا بحقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب وامضوا صورة ايمانهم [2]

ومن ثم نقول ان حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الآب محتواة

---

١) هذه المجامع هي مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ ومجمع افسس سنة ٤٣١ ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ومجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣

٢) راجع كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم للاب دي كوبه اليسوعي

في الكتب المقدسة والمدافع عنها باقوال الآباء القديسين المتواترة من شرقيين وغربيين والمعلنة والمقررة من المجامع المقدسة هي حقًّا عقيدة من الايمان يلزم اعتناقها والتمسك بها ولو كلفنا ذلك سفك دمائنا وفقد حياتنا الجسدية الفانية

كلمة في وحدة الله عزّ وجلّ وتثليث اقانيمه

بعد ان بيّنّا عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن ببراهين واضحة لا ردّ عليها مأخوذة من آيات الكتب المقدسة الموحى بها من الله يحسن بنا ان نختم مقالتنا بتلخيص ما يعلّمنا الايمان المستقيم عن وحدة الله تعالى واقانيمه الثلاثة لنفهم فهماً اتمّ ما يختصّ بانبثاق الروح القدس

فنقول اولًا : ان الله هو ازليّ الوجود لانه الكون اللازم الوجود . قال الله لموسى انا هو الكائن . وقال كذا قل لبني اسرائيل الكائن ارسلني اليكم » (سفر الخروج ٣ : ١٤) . فاذًا هو بمعزل عن الزمن المختصّ بالمخلوقات المتغيّرة والمنتقلة من حال الى حال . فلا ماضٍ في الله ولا مستقبل بل كلُّ شيء حاضر لعزّته . يمكننا ان نشبّه كونه الازلي بنقطة المركز في الدائرة فهي توازي كل نقط الدائرة . فاذا افترضنا ذرّات تتحرّك وتسير على خط الدائرة فهذه الذرّات بالنسبة الى بعضها بعض هي قبل او بعد . اما بالنسبة الى نقطة المركز فهي ابدًا حاضرة . كذلك المخلوقات فهي بالنسبة الى بعضها بعض في الزمن فهي قبل او بعد في الماضي او في المستقبل . اما بالنسبة الى الله فهي دائمًا حاضرة لعزته الالهية

نقول ثانيًا : ان الله اللازم الكون هو واحد اي ذات غير متناهية . لكنه عزّ وجلّ مثلّث الاقانيم وهذه الثلاثة الاقانيم هم إله واحد . فكما انّ نفس الانسان هي واحدة في الجوهر لكنها مثلّثة القُوى وهذه القوى هي العقل والارادة والذاكرة وكلٌّ من هذه القوى هي ذات جوهر النفس لكنها تمتاز عن القُوّتين الأُخريَين . فالعقل هو النفس المفكّرة وهو يمتاز عن الارادة وعن الذاكرة . والارادة هي النفس المُريدة وهي تمتاز عن العقل وعن الذاكرة . وهكذا القول عن الذاكرة . الّا انّ هذه القوى في النفس ليست اقانيم قائمة بذاتها كما هي الاقانيم في الثالوث الاقدس

قلنا ان الله هو واحد في ذات غير متناهية ونقول انه عقل وارادة وفيه فعل

واحد ازليّ غير متناهٍ [1] . فيعرف الله ذاته ومعرفتهُ لذاتهِ هي ابنه كما ان فكرنا يصدر من عقلنا فهو ابن عقلنا . الّا ان الفكر في نفس الانسان عرض وفي الله جوهر . ونقول ان الله الآب يُصدر الابنَ بطريقة الفهم منذ الازل فهو ابن الآب بالولادة اي كلمته وصورته . فكلمته هي اقنوم قائم بذاتهِ مُميَّز عن الآب . ثم ان الله الآب اذ يعرف ذاته في صورته الابن يحبّه محبة متبادلة فالآب يحبّ الابن والابن يحبّ الآب لانّ كل شيء فيهما مشترك ولا يتميَّزان الّا بان الآب والد والابن مولود فهذه المحبة المتبادلة هي الروح القدس . وبما ان المحبة تصدر بطريقة الارادة نقول ان الروح القدس لا يصدر بالولادة كالابن بل بالانبثاق . وحيث المحبة متبادلة بين الآب والابن نقول ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن لكن كمن مبدإٍ واحد لانّ كلّ شيء مشترك بينهما ما عدا الابوّة والبنوّة . واذ كانت المحبة في الله جوهرية لانّ لا شيء فيه عرضيّ قلنا ان الروح القدس اقنوم قائم بذاتهِ مميَّز عن الآب والابن

وبتشبيهٍ بسيط نوضح كيف ان الآب مصدر الابن . وكليهما مصدر الروح القدس وليس واحد من الثلاثة قبل الآخر او بعده . فلنفترض انهُ يوجد إزاء مرآةٍ نورٌ ينبعث منهُ شعاع يقع على صحيفة المرآة ففي الوقت عينهِ تُرى في المرآة صورة النور ينبعث منها الشعاع . فالنور هو مصدر الصورة . والنورُ وصورته موجودان بآنٍ واحد . والنور وصورته هما مصدر الشعاع المتبادل بين النور وصورتهِ . والثلاثة اي النور وصورته والشعاع يوجدون معاً . كذلك منذ الازل الله الآب كائن ويُصدر الابن بالولادة وكلاهما مبدأٌ واحد لانبثاق الروح القدس

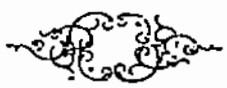

[1] انّ قول الكتاب المقدس «خلق الله الانسان على صورته» (تكوين ١ : ٢٧) معناهُ انّ الله خلق الانسان مزيَّناً بالعقل والارادة كما ان الله هو عقل وارادة . الّا ان عقل الانسان وارادته متناهيان اما الله فازلي وغير متناهٍ